الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

العدد التاسع عشر 19
يونيو 2021

منهج الواحدي في أسباب النزول
في كتابه "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

د. مشاعل بنت سعد الحقباني *
malhoqbani@ksu.edu.sa

ملخص:

يتناول هذا البحث منهج الواحدي أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (468هـ)، في أسباب النول في كتابه "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وتم تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، استعرض المبحث الأول نبذة عن الواحدي وكتابه الوجيز، واهتم المبحث الثاني بمنهج الواحدي في إيراد أسباب النزول في تفسيره الوجيز، وتناول المبحث الثالث أثر سبب النزول في تفسير الآية، وإزالة الإشكال، في تفسير (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وإزالة الإشكال فيها، وتوصل إلى أنه لم يكن للواحدي في إيراده أسباب النزول -في تفسيره الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- مصطلحات منضبطة، ولم يكن مفهومه عن سبب النزول واضحًا، وأظهر الأدلة على ذلك اعتباره ضرب الأمثال والحديث عن الأمم الغابرة سببًا لنزول الآيات، كما أن الواحدي يعبر في كتابه عن أسباب النزول بصيغ متعددة، ويقتصر على سبب نزولٍ واحدٍ للآية الواحدة -هذا في غالب ما يورده من أسباب النزول- وغالب ما ذكره من أسباب النزول في كتابه "الوجيز" قد ذكرها في كتابه "أسباب النزول"، ويقل ذكره لأسباب نزولٍ لم يوردها في كتابه "أسباب النزول"، وقد أورد في كتابه (أسباب النزول) فوائد كثيرة، كان لها أثر كبير في بيان معاني الآيات، وإزالة الإشكالات.

الكلمات المفتاحية: الواحدي، أسباب النزول، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المنهج، المعنى.

* أستاذ التفسير المساعد- قسم الدراسات القرآنية -كلية التربية.جامعة الملك سعود- الرياض- المملكة العربية السعودية.

DOI: 10.35696/1915-000-019-001

الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

Al-Wahidi Approach in *Asbab al-Nuzul* 'Reasons of Revelation' In his Book "*Al-Wajeez Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz*" 'The Brief Editor in the Interpretation of the Dear Book'

Dr. Mashael Bint Saad Al-Haqbani*

malhoqbani@ksu.edu.sa

Abstract:

This Research tackles the approach of Al-Wahidi Abi Al-Hassan Ali Bin Ahmed Al-Wahidi (468 AH), in Asbab Al-Nuzul (reasons for revelation of verses) in *Al-Wajeez in Tafsir Al-Kitab Al-Aziz* 'The Brief Editor in the Interpretation of the Dear Book'. It is divided into an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion. The second sub-section is based on the Al-Wahidi approach in listing *Asbab Al-Nuzul* in its brief interpretation, and the third sub-section deals with the impact of *Asbab Al-Nuzul* in the interpretation of the verse, and solves the trouble of explaining it. The researcher concluded that Al-Wahidi did not have in his reference to *Asbab Al-Nuzul* a clear image, and the evidence for that was considered as multiplication of proverbs and talking about the past nations is a reason for the revelation of verses, just as Al-Wahidi expression is based on one reason. He really mentioned in the book "*Al-Wajeez*" in "*Asbab Al-Nuzul*" many benefits, which had a significant impact on clarifying and demystifying the meanings of the verses.

Keywords: Al-Wahidi, *Asbab Al-Nuzul*, *Al-Wajeez in Tafsir Al-Kitab Al-Aziz* 'The Brief Editor in the Interpretation of the Dear Book', method, meaning.

*Assistant Professor of Interpretatin, Department of Quranic Studies, Faculty of Education, King Saud University, Saudi Arabia.

المقدمة:

إن أجل ما صرفت إليه النفوس والهمم، واشتغلت به القلوب هو كلام الله الهادي إلى الطريق القويم المستقيم، الموصل للعبد إلى رضوان ربه العظيم، وقد عظمت عناية الأمة بهذا الكتاب حفظًا وتفهمًا وتفسيرًا وبيانًا، واشتغل العلماء خلال قرون عديدة بتفسيره وفرعوا منه أنواع العلوم الموصلة إلى فهم معانيه، وبيان دلالته.

فأهل العلم هم من يُعول عليهم في فهم معاني القرآن، فتفسير القرآن الكريم مسؤولية علماء المسلمين المتمكنين في علم الآلة والقادرين على الاستنباط، والذين منحهم الله دقة في الملاحظة وعمقًا في النظر، وقد نهج هؤلاء العلماء منهجًا واضحًا, ووضعوا قواعد وأصولًا تضبط تفسير كلام الله، وتمنع من الانحراف أو الشطط في فهم كلام الله، ومن ذلك: منهجهم في بيان أسباب النزول, وأثرها في فهم الآيات, وهذا يساعد على حسن صياغة العقل والمنطق، ويساعد على ربط اللفظ بالظروف والوقائع التي قيل فيها النص، كي يُستخرج المعنى المراد من النص يوم قيل، مما يعصم من تحميل النص ما لا يحتمل، ومن قصره على بعض معانيه وحجبه عن بقية المعاني التي يشملها.

ومن العلماء الذين اشتغلوا بتفسير القرآن، واعتنوا عناية كبيرة بأسباب النزول، وكان له أثر عظيم في بيان معانيه، المفسر اللغوي أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (468هـ)، الذي لاقت كتبه شهرة واسعة، وانتفعت بها الأمة على مدى قرون.

وكان من مصنفاته العظيمة كتاب: (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وهو من كتب التفسير العظيمة التي لا يستغني عنها طالب فهم معاني القرآن؛ لإجادة مصنفه في التفسير، ورسوخ قدمه في علم اللغة، والتفسير، وأسباب النزول حتى أنه -رحمه الله- صنف مصنفًا مستقلًا في أسباب النزول، يُعد العمدة في بابه.

ولما لهذا الكتاب من مكانة، ولبيان أثر أسباب النزول في فهم القرآن، فقد رأيت أن أجعل دراستي في هذا البحث في بيان منهج الواحدي في أسباب النزول في كتابه "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

إشكالية البحث:

لأسباب النزول أهميتها في فهم الآية، والواحدي يُعد من كبار العلماء الذين تناولوا هذا الباب في كتابه "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وبعد البحث والسؤال لم أجد من تناول هذا الموضوع سابقًا؛ لهذا جاءت هذه الدراسة تستقصي هذا المنهج، وتوضح معالمه.

حدود البحث:

ستكون الدراسة خاصة بأسباب النزول عند الواحدي في كتابه "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. مكانة الواحدي في تفسير القرآن، وفي علم اللغة، والبيان الذي يظهر أثره في تفسير القرآن، وبيان معانيه.
2. عظيم الفائدة من تفسير الوجيز لمريد تفهم معاني القرآن، وكان الغزالي - رحمه الله- يقول: "من أراد أن يسمع التفسير كأنه من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعليه بتفسير الواحدي"[1].
3. سبب النزول له أثر كبير في فهم الآية، ومعرفة دلالاتها، قال ابن تيمية - رحمه الله-: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[2].
4. معرفة سبب النزول يساعد على توضيح ما يُشكل في فهم الآية.

أهداف البحث:

1- بيان صيغ الواحدي في بيان سبب النزول في كتابه الوجيز.
2- توضيح معالم منهج الواحدي في كتابه الوجيز.
3- أثر معرفة سبب النزول في فهم معاني القرآن.
4- أثر معرفة سبب النزول في إزالة الإشكال من الآيات.

أسئلة البحث:

1- ما صيغ الواحدي في بيان سبب النزول؟

2- ما معالم منهج الواحدي في كتابه الوجيز؟

3- ما أثر معرفة سبب النزول في فهم معاني القرآن؟

4- ما أثر معرفة سبب النزول في إزالة الإشكال من الآيات؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أجد من قام بدراسة منهج الواحدي في أسباب النزول في كتابه "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وهناك بعض الدراسات في أسباب النزول عامة، منها:

1- "الواحدي ومنهجه في التفسير" للدكتور جودة محمد المهدي, يقع الكتاب في 466 صفحة, وقد قسم البحث إلى مقدمة وأربعة أبواب, فالباب الأول يتضمن "عصر الواحدي وحياته", والباب الثاني تناول "مصادر تفسير الواحدي", والباب الثالث تناول "منهج الواحدي في تفسيره" وتضمن هذا الباب ما يلي: " موقف الواحدي من التفسير بالمأثور- الاتجاه اللغوي في تفسير الواحدي- الجانب النحوي- النزعة الأدبية في تفسير الواحدي-الصور البلاغية في تفسير الواحدي- منهج الواحدي في عرض القراءات والاحتجاج بها- منهج الواحدي في رواية الأحاديث الشريفة والاحتجاج بها..." ولم يتناول أسباب النزول عند الواحدي ومنهجه فيها.

2- "أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن" للحسن بن خلوي الموكلي: دراسة تطبيقية على سورة البقرة، وهذه الدراسة عامة عن أسباب النزول، وأثر سبب النزول في فهم الآية في سورة البقرة, ولم يتطرق للواحدي في دراسته.

3- "ضرورة الاهتمام بأسباب النزول عند الواحدي" م. م. جعفر طالب حسين. كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية.

منهج البحث وإجراءاته:

منهج البحث هو منهج استقرائي استنباطي لمنهج الواحدي في أسباب النزول من خلال دراسة كتابه: "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

خطة البحث:

1- يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة بأهم النتائج، والتوصيات، وفهارس، وتفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة: تتضمن مشكلة البحث، وحدوده، وأهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته.

المبحث الأول: نبذة عن الواحدي وكتابه الوجيز، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الواحدي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الوجيز.

المطلب الثالث: تعريف أسباب النزول وأهميتها.

المبحث الثاني: منهج الواحدي في إيراد أسباب النزول في تفسيره الوجيز، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صيغ الواحدي في بيان سبب النزول.

المطلب الثاني: معالم منهج الواحدي في أسباب النزول في كتابه الوجيز.

المبحث الثالث: أثر سبب النزول في تفسير الآية، وإزالة الإشكال، في تفسير (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للواحدي، وإزالة الإشكال فيها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر سبب النزول في بيان معنى الآية.

المطلب الثاني: أثر سبب النزول في إزالة الإشكال في الآيات.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

المبحث الأول: نبذة عن الواحدي وكتابه الوجيز

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الواحدي

أولًا: اسمه. هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي، النيسابوري، صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، وكان فقيهًا وإمامًا في النحو، واللغة[3].

ثانيًا: مولده: ولد بنيسابور، ولم تصرح المصادر التي ترجمت للواحدي بتاريخ مولده، لكن الذهبي ذكر أن الواحدي عند وفاته كان من أبناء السبعين. ومن ثم نستطيع القول بأن تاريخ ولادته كان ما بين (388- 398هـ)[4].

ثالثًا: نشأته: رغم ما خلفه الواحدي من علمٍ وإرث عظيم، فإنا لا نجد في المصادر التي ترجمت له شيئًا عن نشأته إلا ما ذُكر أن أصله من ساوه[5]، وأنه من أولاد التجار، ومولده بنيسابور[6].

رابعًا: مذهبه الفقهي: كان شافعي المذهب، فقد ذُكر في كتب طبقات الشافعية كالطبقات الكبرى لابن السبكي[7]، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة [8].

خامسًا: شيوخه: أخذ الواحدي العلم على أئمة عصره، ومن أبرزهم:

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي (ت:427) المفسر، فقد لازمه الواحدي، وأخذ عنه التفسير، وكان سببًا لتوجهه لعلم التفسير.

وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندزي الضرير، واللغة عن أبي الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضي، وغيرهما كثير[9].

سادسًا: تلاميذه: أخذ عنه جملة من العلماء، منهم:

أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، الأديب اللغوي، اختص بصحبة الواحدي المفسر، وقرأ عليه، وله في اللغة تصانيف مفيدة، ومحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نصر الأرغياني، وعبد الجبّار بن محمد الخواري[10].

سابعًا: ثناء الأئمة عليه ومكانته

أثنى عليه علماء الأمة، ووصفوه بأستاذ عصره في التفسير، والمقدم فيه وفي اللغة والنحو.

قال ابن السبكي: "كان الأستاذ أبو الحسن واحد عصره في التفسير"[11].

وقال ابن قاضي شهبة: "كان فقيهًا وإمامًا في النحو واللغة وغيرهما، شاعرًا، وأما التفسير فهو إمام عصره"[12].

وقال الذهبي: "الإمام، العلامة، الأستاذ أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل... وكان طويل الباع في العربية واللغات"[13].

ثامنًا: مؤلفاته: ألف في التفسير، واللغة، والأدب، وغيرها، فأفاد وأجاد، وأشهر ما وصل إلينا من كتبه:

1- أسباب النزول، وهو العمدة في بابه. وقد طُبع أكثر من طبعة منها: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: كمال بسيوني زغلول. الطبعة: الأولى، 1411 هـ طبعة دار الإصلاح - الدمام, تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان, الطبعة: الثانية، **1412 هـ.**

2- الوجيز في التفسير، وهو موضوع الدراسة في هذا البحث.

وقد طُبع أكثر من طبعة منها: طبعة دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

3- الوسيط في تفسير القرآن المجيد في أربعة مجلدات، وقد طُبع أكثر من طبعة منها: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.

4- البسيط في التفسير في نحو ستة عشر مجلدًا، وقد قامت عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بطباعته، وأصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الطبعة: الأولى،1430هـ، عدد الأجزاء: 25 : منها جزء للفهارس.

وله من الكتب أيضًا: كتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف، وكتاب الدعوات، وكتاب التنجيز في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب تفسير أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم-، وكتاب المغازي، وكتاب الإغراب في الإعراب، وشرح ديوان المتنبي[14].

تاسعًا: وفاته: وافته المنية بنيسابور، ومات بعد مرض طويل في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربعمائة، وكان من أبناء السبعين -رحمه الله تعالى-[15].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

سأذكر عدة جوانب للتعريف بكتاب الوجيز وهي على النحو الآتي:

1- **ذكر السبب الباعث له على تأليفه:** ذكر في مقدمة كتابه أنه ألفه إجابة لسؤال من سأله من طلاب العلم، تأليفًا مختصرًا يجمع تفسير القرآن كاملًا.

قال الواحدي - رحمه الله- في مقدمته: "فإني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أسبق إلى مثله، وطال علي الأمر في ذلك لشرائط تقلدتها، ومواجب من حق النصيحة لكتاب الله تعالى تحملتها، ثم استعجلني قبل إتمامه والتقصي عما لزمني من عهدة أحكامه نفر متقاصرو الرغبات، منخفضو الدرجات أولو البضائع المزجاة، إلى إيجاز كتاب في التفسير يقرب على من تناوله، ويسهل على من تأمله، من أوجز ما عمل في بابه، وأعظمه فائدة على متحفظيه وأصحابه"[16].

2- **بيان هدفه من التأليف:** بيّن - رحمه الله- منهجه بإيجاز في مقدمته، فذكر أنه قصد فيه تسهيل عبارته؛ لتحقيق المنفعة لأهل زمانه بإفادتهم، وذكر أنه يقتصر فيه على قول واحد لابن

عباس -رضي الله عنهما-، أو من هو في مثل درجته. وذكر أنه يقصد في تفسيره هذا إلى شرح اللفظ الغريب بأسهل عبارة[17].

وهو -رحمه الله- يبدأ في تفسيره للآيات بذكر سبب النزول إن كان لها سببًا، ثم يتبعها ببيان معنى الآية، ويتعرض كثيرًا في تفسيره لمسائل النحو الإعراب، وقد يذكر بعض المسائل الفقهية ويبين الخلاف فيها.

المطلب الثالث: تعريف أسباب النزول وأهميتها

أولًا: تعريف أسباب النزول

سبب النزول لغةً: السبب: الحبل الذي يصعد به النخل، وجمعه أسباب، قال الله تعالى: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾ [ص، الآية: (10)]، وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء سببًا، و كل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها فهو سبب، ويقال للطريق: سبب، لأنك بسببه تصل إلى الموضع الذي تريده[18].

والنزول: النون والزاء واللام كلمة تدل على هبوط شيء ووقوعه من علو إلى سفل، يقال: نزل عن دابته نزولًا، ونزل المطر من السماء نزولًا، ويقال: نزل فلان عن الأمر والحق: تركه، ونزل بالمكان وفيه: حلّ، ونزل على القوم: حلّ ضيفًا، ويقال: نزل به مكروه: أصابه[19].

سبب النزول اصطلاحًا:

ذكر السيوطي معنى سبب النزول فقال: "وَالَّذِي يَتَحَرَّرُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ أَنَّهُ مَا نَزَلَتِ الْآيَةُ أَيَّامَ وُقُوعِهِ"[20].

أما سبب النزول عند الواحدي فقد توسع في مفهومه، حيث يبدو أنه أدخل في سبب النزول ما يدخل حكمًا فيه، وليس سببًا للنزول. وقد علق السيوطي - بعد أن ذكر تعريفه هو لسبب النزول- على مفهوم سبب النزول عند الواحدي فقال:

"لِيُخْرِجَ مَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سُورَةِ الْفِيلِ مِنْ أَنَّ سَبَبَهَا قِصَّةُ قُدُومِ الْحَبَشَةِ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي شَيْءٍ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَقَائِعِ الْمَاضِيَةِ كَذِكْرِ قِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَبِنَاءِ الْبَيْتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} سَبَبُ اتِّخَاذِهِ خَلِيلًا لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ نُزُولِ الْقُرْآنِ كَمَا لَا يَخْفَى"[21].

فسبب النزول مقتصرٌ على أمرين[22]:

1- أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها.

2- أن يُسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه.

فلا يدخل في سبب النزول إلا ما وقع أثناء نزوله، فيخرج عن سبب النزول الوقائع والحوادث التي وقعت في الأمم الماضية قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- كأخبار قوم نوح، وعاد، وثمود[23].

ثانيًا: أهمية أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول أهمية تتضح في الأمور الآتية:

1- أن معرفة سبب النزول من أساسيات المتكلم في تفسير القرآن، ولا يتم فهم المراد من التنزيل إلا بمعرفة سببه، فمعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، وقد أكد المفسرون على ذلك فقال الواحدي-رحمه الله-: "إِذْ هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا"[24].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[25].

2- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، مما يكون أدعى لتفهمه وتقبله، وإدراك أسرار التشريع، فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة بعد الأخرى، أدرك ضرورة تحريم الخمر[26].

3- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

4- أن اللفظ قد يكون عامًا، ويقوم الدليل على تخصصيه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد عن حكم الآية ممنوع.

5- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، فإن الجهل بسبب النزول مورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع[27].

وقد قرر ذلك الشاطبي فقال -رحمه الله-: "هذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزل، بحيث لو فقد ذكر السبب؛ لم يعرف من المنزل معناه على الخصوص، دون تطرق الاحتمالات وتوجه الإشكالات"[28].

6- دفع توهم الحصر، وقد وضح ذلك الشافعي في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ **[الأنعام، الآية: (145)]** ، فقال: "إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحاداة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلًا نزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل"[29].

7 - معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها، ولقد قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إنه الذي أنزل فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ **[الأحقاف، الآية: (17)]**، حتى ردت عليه عائشة، وبينت له سبب نزولها[30].

8 - يُعرف به أسرار البلاغة، وإعجاز نظم القرآن العظيم، ومقاصد كلام العرب؛ فإن مداره على معرفة مقتضيات الأحوال المخاطبين بالقرآن[31].

المبحث الثاني: منهج الواحدي في إيراد أسباب النزول في تفسيره الوجيز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صيغ الواحدي في بيان سبب النزول

تتبعت الباحثة المواطن التي ذكر فيها الواحدي أسباب النزول في كتابه الوجيز, ووجدت أن الواحدي عبّر عن أسباب النزول بصيغ متعددة، منها:

الأولى: أن يذكر سبب النزول، ثم يتبعه بفاء السببية مع الفعل (أنزل) فيقول: (فأنزل الله)، وقد ذكر هذه الصيغة في أكثر من تسعين موضعًا في كتابه، ومنها في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **[التوبة، الآية: (79)]**.

قال الواحدي: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ﴾ يعيبون ويغتابون، ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ﴾ المتطوعين المُتنفلّين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حثَّ على الصَّدقة، فجاء بعض الصحابة بالمال الكثير، وبعضهم - وهم الفقراء – بالقليل؛ فاغتابهم المنافقون، وقالوا: مَنْ أكثر رياءً ومَنْ أقلَّ، أراد أن يذكر نفسه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾[32].

الثانية: أن يذكر سبب النزول، ثم يتبعه بفاء السببية مع الفعل (نزلت) فيقول: (فنزلت)، وقد ذكرها في ثلاثين موضعًا من كتابه.

مثال ذلك: في قوله تعالى:﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾ [المائدة، الآية: (4)].

قال الواحدي: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سأل عديُّ بن حاتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: "إنَّا نصيد بالكلاب والبُزاة، وقد حرَّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟، فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ يعني: ما تستطيبه العرب" [33].

الثالثة: أن يذكر سبب النزول مع الفعل (نزلت)، ثم يتبعها بقوله: (فنزلت)

ومثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ **[النساء، الآية: (123)].**

قال الواحدي: "﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ نزلت في كفَّار قريش، واليهود، قالت قريش: لا نُبعث، ولا نُحاسب، وقالت اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة، الآية (80)] فنزلت هذه الآية[34]؛ أَيْ: ليس الأمر بأمانيِّ اليهود والكفَّار"[35].

الرابعة: أن يعبر عن سبب النزول بقوله في أوله: (نزلت في)، وهذه أكثر الصيغ ورودًا في كتابه، فقد ذكرها في أكثر من مائة موضع، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ **[الأحزاب، الآية: (53)].**

قال الواحدي: " نزلت في ناسٍ من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي - صلى الله عليه وسلم-، فيدخلون عليه قبل الطَّعام إلى أن يدرك، ثمَّ يأكلون ولا يخرجون، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم- يتأذَّى بهم"[36].

الخامسة: أن يعبر عن سبب النزول بقوله في أوله: (نزلت هذه الآية)، وقد ذكرها في أكثر من عشرة مواضع، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **[المائدة، الآية: (33)]**.

قال الواحدي: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أَيْ: يعصونهما ولا يطيعونهما يعني: الخارجين على الإمام، وعلى الأمَّة بالسَّيف، نزلت هذه الآية في قصة العُرَنيين[37]، وهي معروفةٌ تعليمًا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- عقوبة مَن فعل مثل فعلهم) [38].

السادسة: أن يورد السبب في الآية بدون الصيغ التي تدل على أسباب النزول، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧﴾ **[الأنفال، الآية: (17)]**.

قال الواحدي: "﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ﴾ يعني: يوم بدرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ﴾ بتسبيبه ذلك من المعونة عليهم، وتشجيع القلب ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ وذلك أنَّ جبريل -عليه السَّلام- قال للنبيّ -عليه السَّلام- يوم بدرٍ: خذ قبضةً من تراب فارمهم بها، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قبضةً من حصى الوادي فرمى بها في وجوه القوم، فلم يبقَ مشركٌ إلاَّ دخل عينيه منها شيء[39]. وكان ذلك سبب هزيمتهم، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أَيْ: إنَّ كفًّا من حصى لا يملأ عيون ذلك الجيش الكثير برمية بَشرٍ، ولكنَّ الله تعالى تولَّى إيصال ذلك إلى أبصارهم"[40].

المطلب الثاني: معالم منهج الواحدي في أسباب النزول في كتابه الوجيز

أولًا: منهج الواحدي في عدد أسباب النزول للآية الواحدة.

الغالب أن الواحدي يقتصر على سبب نزولٍ واحد للآية الواحدة، ويندر ذكره لسببين، أو أكثر للآية الواحدة، وإذا ذكر أكثر من سببٍ فإنه لا يرجح بينها.

ومثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ **[البقرة، الآية: (115)].**

قال الواحدي -رحمه الله-: "﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: إنَّه خالقهما، نزلت في قوم من الصَّحابة سافروا، فأصابهم الضَّباب، فتحرَّوا القِبلة وصلَّوا إلى أنحاءٍ مختلفةٍ، فلمَّا ذهب الضَّباب استبان أنَّهم لم يصيبوا، فلمَّا قدموا سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن ذلك[41]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ أي: تصرفوا وجوهكم ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أيْ: فهناك قِبلة الله وجهته التي تعبَّدكم الله بالتوجُّه إليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أيْ: واسع الشَّريعة يُوسِّع على عباده في دينهم".

ثم قال-رحمه الله- في آخر تفسيره للآية: " وقيل: إنها نزلت في شأن النجاشي حين صلَّى عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه، وقولهم له: كيف تُصلِّي على رجل صلَّى إلى غير قبلتنا؟ فأنزل الله -تعالى- هذه الآية، وبيَّن أنَّ النجاشي وإنْ صلَّى إلى المشرق أو المغرب فإنَّما قصد بذلك وجه الله وعبادته"[42].

فذكر -رحمه الله- سببين لنزولها:

الأول: أنها نزلت في سؤال الصحابة للنبي -صلى الله عليه وسلم- عندما سافروا وصلوا، ولم يصيبوا القبلة بعد تحريهم.

الثاني: أنها نزلت عندما صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- على النجاشي، فقيل له: كيف تُصلِّي على رجل صلَّى إلى غير قبلتنا؟

ولم يرجح بينهما، ولعل المقدم عنده هو سبب النزول الأول لقرينتين:

الأولى: تقديمه له في الذكر، وإنما يقدم في الإيراد المقدم في الاختيار.

الثانية: تصديره لسبب النزول الثاني بقوله: (قيل)، وهي صيغة تمريض تستعمل غالبًا للمرجوح من الأقوال.

ثانيًا: غالب ما ذكره من أسباب النزول في كتابه "الوجيز" قد ذكرها في كتابه "أسباب النزول"، ويقل ذكره لأسباب نزولٍ لم يوردها في كتاب "أسباب النزول".

ومن أمثلة ما ذكره من أسباب النزول في "الوجيز" التي لم يذكرها في كتابه "أسباب النزول":

- ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **[الشورى، الآية: (36)].**

قال الواحدي - رحمه الله-: "﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ من أثاثِ الدُّنيا، ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يتمتَّع به في هذه الدَّار، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثَّواب، ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- حين أنفق جميع ماله وتصدَّق به فلامه النَّاس"[43].

فذكر الواحدي في الوجيز أن الآية نزلت في أبي بكر عندما لامه الناس على الإنفاق، ولم يذكر الواحدي هذا السبب في كتابه "أسباب النزول"، بل لم يذكر هذه الآية، ولا أورد لها سببًا في كتاب "أسباب النزول".

وقد لا يذكر الواحدي في " الوجيز" سببًا لنزول الآية، ويذكره في كتابه " أسباب النزول"، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ

أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **[البقرة، الآية: (174)]**.

قال الواحدي -رحمه الله-: " قال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم. فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم، وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد - صلى الله عليه وسلم-، فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة، فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفًا لصفة محمد، فلا يتبعونه"[44]. فذكر الواحدي سبب نزول الآية، وهو نزولها في رؤساء اليهود وعلمائهم عندما غيّروا صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر هذا في كتابه " أسباب النزول"، ولم يذكر لها سببًا في كتابه "الوجيز"، واكتفى بتفسير الآية.

ثالثًا: ذكر أسباب النزول الضعيفة، والموضوعة

مما أُخذ عليه في ذكره لأسباب النزول في كتابه " الوجيز" إيراده لأسباب النزول الضعيفة في التفسير مع وجود ما هو أصح منها، وقد يورد أيضًا أسباب نزول موضوعة وباطلة لا تصح روايتها.

وقد نبه محمد بن جعفر الكتاني (ت: 1345هـ) على ذلك وهو يتحدث عن الواحدي فقال:" ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما - وخصوصا الثعلبي-, أحاديث موضوعة وقصص باطلة"[45].

الأمر الذي يوضح لنا أن الواحدي لم يكن له باع كبير في علم الحديث من خلال النقد والتمحيص، وحينما ترجم له المترجمون ذكروا أنه كان بارعا في العلوم العربية اللغوية، ولم يذكروا علوم الحديث.

ومن الأمثلة على ذلك:

- **المثال الأول:** ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ **[الأنفال، الآية: (31)]**.

قال الواحدي -رحمه الله-: " ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا ﴾ الآية، كان النَّضر بن الحارث خرج إلى الحيرة تاجرًا، واشـترى أحاديث كليلة ودمنة، فكان يقعد به مع المسـتهزئين فيقرأ عليهم، فلمَّا قصَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- شأن القرون الماضية، قال النَّضرُ بن الحارث: لو شئتُ لقلتُ مثل هذا، إنْ هذا إلاَّ ما سـطَّر الأوَّلون في كتبهم، وقال النَّضـر أيضًـا: اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمَّدٌ حقًّا ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **[الأنفال، الآية: (32)]**، كما أمطرت على قوم لوط ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (32: الأنفال) أَيْ: ببعض ما عذَّبت به الأمم، حمله شـدَّة عداوة النبي على إظهار مثل هذا القول؛ ليوهم أنَّه على بصـيرةٍ من أمره، وغاية الثِّقة في أمر محمَّد أنَّه ليس على حقٍّ"[46].

فذكر أنها نزلت في النَّضر بن الحارث، وأصح منه ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم؛ فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ **[الأنفال، الآية: (33)]** الآية...[47].

- **المثال الثاني:** ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ **[البقرة، الآية: (274)]**.

قال الواحدي - رحمه الله-: "نزلت في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدق بدرهم سرًا، ودرهم علانية، ودرهم ليلًا، ودرهم نهارًا "[48].

وسبب النزول هذا موضوع، كما قرر ذلك ابن تيمية -رحمه الله- فقال: "والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل. ورواية أبي نعيم، والثعلبي لا تدل على الصحة.

الثاني: أن هذا كذب ليس بثابت.

الثالث: أن الآية عامة في كل من ينفق بالليل والنهار سرًا وعلانية، فمن عمل بها دخل فيها، سواء كان عليًّا أو غيره، ويمتنع أن لا يراد بها إلا واحد معين.

الرابع: أن ما ذكر من الحديث يناقض مدلول الآية؛ فإن الآية تدل على الإنفاق في الزمانين اللذين لا يخلو الوقت عنهما، وفي الحالين اللذين لا يخلو الفعل منهما. فالفعل لا بد له من زمان، والزمان إما ليل، وإما نهار.

والفعل إما سرًا وإما علانية؛ فالرجل إذا أنفق بالليل سرًا، كان قد أنفق ليلًا سرًا. وإذا أنفق علانية نهارًا، كان قد أنفق علانية نهارًا. وليس الإنفاق سرًا وعلانية خارجًا عن الإنفاق بالليل والنهار... فعلم أن الدرهم الواحد يتصف بصفتين، لا يجب أن يكون المراد أربعة، لكن هذه التفاسير الباطلة يقول مثلها كثير من الجهال"[49].

فهو سبب نزولٍ لا يثبت سندًا، ولا يستقيم معنًى، فلا يصح إيراده سببًا لنزول الآية، ولا قصة تُروى عن علي - رضي الله عنه-؛ لأن معناها لا يستقيم بتفريق صفات التصدق بالدرهم إلى أربعة وجماعها اثنتين كما بينه ابن تيمية -رحمه الله-.

- **المثال الثالث:** ما ذكره في سورة العصر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ **[العصر، الآيتان: (2, 3)].**

قال الواحدي - رحمه الله -: " ويروى مرفوعًا: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني: أبا جهل، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: أبا بكر، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: عمر بن الخطاب، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾، يعني: عثمان، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ يعني: عليًّا - رضي الله عنهم أجمعين-"[50].

وهو سبب نزول موضوع لا يثبت، كما عده ابن تيمية من التفاسير الباطلة التي لا تثبت [51].

المثال الرابع: ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ **[الحج، الآية: (52)]**.

قال الواحدي -رحمه الله-: " ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في قراءته ما ليس مما يقرأ، يعني: ما جرى على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قرأ سورة والنجم في مجلس من قريش، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ **[النجم، الآية: (20)]**، جرى على لسانه: " تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى"، ثم نبهه جبريل - عليه السلام- على ذلك فرجع، وأخبرهم أن ذلك كان من جهة الشيطان، فذلك قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾".

وقصة الغرانيق قصة موضوعة لا تصح، وقد بين كذبها وباطلها جمعٌ من أهل العلم، منهم:

القرطبي في تفسيره[52]، وقال عنها الرازي في تفسيره: "قد ظهر على القطع كذبها"[53]، وقال الكرماني في شرح صحيح البخاري: قوله: "تلك الغرانيق العلا"، فباطل لا يصح، لا نقلًا، ولا عقلًا؛ لأن مدح إله غير الله كفر، ولا يصح نسبة ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا أن يقوله الشيطان بلسانه -حاشاه منه- أقول: وهذا هو الحق والصواب"[54].

وغيرهم من أهل العلم لا يُحصون كثرة، وللألباني رسالة في بيان كذب هذه القصة سماها:" نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق".

والصحيح في معنى هذه الآية ما قاله الشنقيطي -رحمه الله-: "أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي: الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فيصدقه الأشقياء، ويكون ذلك فتنة لهم، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم، ويعلمون أنه الحق لا الكذب; كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه: فهذا الامتحان لا يناسب شيئًا زاده الشيطان من نفسه في القراءة، والعلم عند الله تعالى"[55].

فزال إشكال الآية، وبان معناها، وبان بطلان نزولها في قصة الغرانيق.

رابعًا: ذكر تفسير للآية من باب ضرب المثل

يمثل الواحدي في كتابه "الوجيز" لآيات قد يُتوهم أنه يريد أنها سبب نزول الآية، وليس كذلك وإنما هي من باب ضرب المثل.

ومن ذلك:

- **المثال الأول:** ما ذكره في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **[آل عمران، الآية: (75)]**.

قال الواحدي-رحمه الله-: " ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ يعني: عبد الله بن سلام أودع ألفًا ومائتي أوقية من ذهب فأدى الأمانة فيه إلى من ائتمنه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ يعني: فنحاص بن عازوراء أودع دينارا فخانه"[56].

- **المثال الثاني:** ما ذكره في قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[آل عمران، الآية: (26)]**.

قال الواحدي -رحمه الله-: وقوله:" ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ محمدًا وأصحابه، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ أبي جهل وصناديد قريش، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ المهاجرين والأنصار، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ أبا جهل وأصحابه حتى حزت رؤوسهم وألقوا في القليب"[57].

فما ذكره في هذه الآيات وغيرها لا يريد أنها سبب نزولها، بل هو من باب ضرب المثل لا الحصر أو إيراده سبب النزول.

المبحث الثالث: أثر سبب النزول في تفسير الآية، وإزالة الإشكال. في تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر سبب النزول في بيان معنى الآية

إن لمعرفة أسباب النزول أثر ظاهر في بيان معناها، وإزالة إشكالاتها كما تقدم بيانه، وأقصد من خلال المطالب الآتية بيان أمثلة لأثر سبب النزول في بيان معاني الآيات فيما ذكره الواحدي من أسباب نزول في كتابه "الوجيز"؛ ليتضح جليًّا أثر معرفة السياق الذي نزلت فيه الآية على بيان معناها.

وذكر الواحدي في كتابه "الوجيز" أسباب نزول لها أثر في فهم معاني آيات القرآن، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

المثال الأول:

في قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ **[البقرة، الآية: (44)]**.

فإن (البر) و(الكتاب) يطلق على معانٍ عدة في القرآن، ولا يمكن فهم المراد من الآية إلا بفهم السياق الذي نزلت فيه.

قال الواحدي -رحمه الله-:" ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ كانت اليهود تقول لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون به؛ فأنزل الله تعالى توبيخًا لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان

بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تأمرونها بذلك، ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تقرؤون التوراة وفيها صفة محمد -صلى الله عليه وسلم- ونعته، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه حق فتتبعونه؟"[58].

فلما ذكر الواحدي أنها نزلت في اليهود لما قالوا لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان بالنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لعلمهم أنه الحق المكتوب عنده في كتابهم[59]، ذكر تفسير الآية وبيان معنى (البر) و(الكتاب) بما ناسب سبب نزولها، ففسر البر: بالإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، والكتاب: بالتوراة التي فيها صفة النبي – صلى الله عليه وسلم-، فبيان أثر معرفة سبب النزول في فهم معنى الآية وتفسرها، ولو فسرت من غير بيان السياق الذي نزلت فيه لما فُهمت على وجهها.

المثال الثاني:

في قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ **[البقرة، الآية: (143)]**.

معلوم أن الإيمان حيث أُطلق في الشرع فالمراد به: الإقرار[60]، فقول الله -عز وجل- هنا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ إذا فسرت من غير رجوع لسبب النزول ينصرف إلى أن المراد بها: وما كان الله يضيع إقراركم به وبرسوله -صلى الله عليه وسلم-.

قال الواحدي -رحمه الله-: "... فمن عصمه صدق الرسول في ذلك، ومن لم يعصمه شك في دينه وتردد عليه أمره، وظن أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- في حيرة من أمره، فارتد عن الإسلام،

وهذا معنى قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: وقد كانت التولية إلى الكعبة ثقيلة إلا ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ عصـمهم الله بالهداية فلما حولت القبلة قالت اليهود: فكيف بمن مات منكم وهو يصـلي على القبلة الأولى؟ لقد مات على الضلالة؛ فأنزل الله تعالى[61]: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ أي: صلاتكم التي صـليتم، وتصـديقكم بالقبلة الأولى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ يعني: بالمؤمنين، ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، والرأفة أشد الرحمة"[62].

فذكر الواحدي في هذه الآية الكريمة سبب النزول، وأنها نزلت في اليهود، قالوا لما تغيرت القبلة إلى المسجد الحرام: فكيف بمن مات وهو يصلي للقبلة الأولى؟ لقد مات على ضلالة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾، فعلم أن معنى الإيمان هنا: الصلاة، قال الواحدي: (صلاتكم التي صليتم وتصديقكم بالقبلة الأولى)، فبمعرفة سبب النزول للآية عُرف معناها، وبان أثر السبب في فهم الآية.

وذكر الحُليمي إجماع المفسـرين على هذا المعنى الذي أكده سـبب النزول فقال:"﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ وأجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس"[63].

المثال الثالث:

في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ **[آل عمران، الآية: (128)]** , فالآية نفت أن يكون للنبي -صلى الله عليه وسلم- من الأمر شيء، ومعلوم أن الله -عز وجل- جعل للنبي -صلى الله عليه وسلم- من أمر هداية الإرشاد، والدعوة إليه، والحكم بين الناس بما أراه الله شيئًا، فلا تُفهم الآية، ويعرف المراد بالأمر الذي ليس للنبي -صلى الله عليه وسلم- إلا بمعرفة سبب نزولها.

قال الواحدي -رحمه الله-:"﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، لما كان يوم أحد من المشركين ما كان من كسر رباعية النبي -صلى الله عليه وسلم-، وشجه، فقال: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟!"؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلمه أن كثيرًا منهم سيؤمنون، والمعنى: ليس لك من الأمر في عذابهم، أو استصلاحهم شيء حتى يقع إنابتهم أو تعذيبهم وهو قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فلما نفى الأمر عن نبيه - عليه السلام-، ذكر أن جميع الأمر له، فمن شاء عذبه، ومن شاء غفر له"[64].

فلما عُلم أن سبب نزولها هو دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- على قومه، ونفي الفلاح لشجهم وكسرهم لرباعيته، عُلم أن المراد بالأمر المنفي عن النبي – صلى الله عليه وسلم- هو نفي الفلاح عنهم، والحكم بعذابهم أو عدم توبتهم، فإن أمر ذلك كله لله، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمكنه منع هداية التوفيق أو إعطاءها أحدًا، فبمعرفة سبب النزول فهم معنى الآية، وأن المراد بها كما ذكر الواحدي: " ليس لك من الأمر في عذابهم، أو استصلاحهم شيء، حتى يقع إنابتهم، أو تعذيبهم".

المطلب الثاني: أثر سبب النزول في إزالة الإشكال من الآيات

إن لمعرفة سبب النزول أثرا في إزالة ما يرد من إشكالات في الذهن عند قراءة الآيات، فعند الرجوع لسبب نزول الآية يزول ما يُشكل، وتُفهم على مراد الله منها.

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول:

في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[البقرة، الآية: (104)]**, يُشكل نهي المؤمنين عن مخاطبة الرسول – صلى الله عليه وسلم- بلفظ ﴿رَٰعِنَا﴾ مع أنه لا يظهر فيها محظور، فمعناها كما قال ابن عباس: ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: أَرْعِنا سمعك[65].

فلا يظهر وجه النهي ويزول الإشكال إلا بمعرفة سبب نزول الآية.

قال الواحدي -رحمه الله-: " ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم-: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهودية سبًّا قبيحًا، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعجبتهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك، وأنزل هذه الآية[66]، وأمرهم أن يقولوا بدل ﴿رَٰعِنَا﴾ ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ أي: انظر إلينا حتى نفهمك ما نقول، ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ أي: أطيعوا واتركوا هذه الكلمة؛ لأن الطاعة تجب بالسمع"[67].

فلما عُلم أن سبب نزولها، وسبب النهي عنها هو ما كانت تفعله اليهود من استعمال هذه الكلمة، وإرادة معنًى فاسد بالسب والشتم للنبي -صلى الله عليه وسلم- بان أن النهي هو لأمر خارج عن معناها الظاهر الذي لا يظهر فيه محظور، فزال إشكال النهي عنها بمعرفة سبب نزولها.

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ **[البقرة، الآية: (115)]**، إذا فسرت الآية بعيدًا عن فهمها في سياق سبب نزولها، قد يُشكل أن الآية مطلقة في جواز الصلاة لأي جهة شاء المصلي، ولا يجب عليه استقبال الكعبة، وإذا عرف سياق الآية التي نزلت فيها زال هذا الإشكال.

قال الواحدي -رحمه الله -: "﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ أي: إنه خالقهما، نزلت في قوم من الصحابة سافروا فأصابهم الضباب، فتحروا القبلة وصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما ذهب الضباب استبان أنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، وقوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ أي: تصرفوا وجوهكم، ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ أي: فهناك قبلة الله وجهته التي تعبدكم الله بالتوجه إليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ أي: واسع الشريعة، يوسع على عباده في دينهم"[68].

فزال الإشكال هنا بمعرفة سبب نزول الآية، وأن المراد بها أن المصلي إذا تحرى واجتهد في معرفة جهة القبلة، وبان خطؤه، فإنه معفو عنه، وأينما ولّى بعد أن تحرى فثمّ وجه الله -عز وجل-.

النتائج والتوصيات:

توصل البحث إلى جملة من النتائج نجملها في الآتي:

2- لم يكن للواحدي في إيراده أسباب النزول -في تفسيره الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- مصطلحات منضبطة، ولم يكن مفهومه عن سبب النزول واضحًا، وأظهر الأدلة على ذلك اعتباره ضرب الأمثال والحديث عن الأمم الغابرة سببًا لنزول الآيات.

3- يعبر الواحدي في كتابه عن أسباب النزول بصيغ متعددة، فقد يورد سبب النزول ثم يتبعه بقول: (فأنزل الله)، وقد يعبر بقوله: (فنزلت)، وقد يصدر سبب النزول بقوله: (نزلت في)، أو بقوله: (نزلت هذه الآية)، وقد يذكر سبب النزول من غير الصيغ الدالة على أسباب النزول.

4- يقتصر الواحدي على سبب نزولٍ واحدٍ للآية الواحدة -هذا في غالب ما يورده من أسباب النزول-، ويندر ذكره لسببين أو أكثر للآية الواحدة، وإذا ذكر أكثر من سببٍ فإنه لا يرجح بينها.

5- غالب ما ذكره من أسباب النزول في كتابه "الوجيز" قد ذكرها في كتابه "أسباب النزول"، ويقل ذكره لأسباب نزولٍ لم يوردها في كتابه "أسباب النزول".

5- يذكر الواحدي أسباب النزول الضعيفة في التفسير مع وجود ما هو أصح منها، وقد يورد أيضًا أسباب نزول موضوعة وباطلة لا تصح روايتها.

6- يمثل الواحدي في كتابه "الوجيز" لآيات قد يُتوهم أنه يريد أنها سبب نزول الآية، وليس كذلك، وإنما هو من باب ضرب المثل.

7- أورد الواحدي في كتابه (أسباب النزول) فوائد كثيرة، كان لها أثر كبير في بيان معاني الآيات، وإزالة الإشكالات.

التوصيات:

لا يزال موضوع:(أسباب النزول) يحتاج إلى المزيد من الدراسات والأبحاث فلذلك توصي الباحثة بالآتي:

1- البحث في أسباب النزول وأثرها في فهم الآية في كتب التفسير للواحدي:(كالوسيط، والبسيط).

2- حصر أسباب النزول من كتب الواحدي، وبيان المنهج العام له. الذي يُفيد في فهم القرآن الكريم.

3- حث الباحثين على العناية بأسباب النزول، وأثرها في فهم معاني القرآن عند المفسرين.

4- جمع وتحقيق روايات أسباب النزول التي أوردها المؤلف في كتابه الوجيز إلى تفسير الكتاب العزيز، وتمييز صحيحها من ضعفيها؛ ليجتنب السقيم في الحكم في الأمور الفقهية، وغيرها.

الهوامش والإحالات:

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات: 101/20.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 13/ 339.

(3) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 240/5. الصفدي، وفيات الأعيان: 303/3.ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية: 256/1.

(4) الذهبي، العبر في خبر من غبر: 267/3.

(5) ساوه: "بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة: مدينة حسنة بين الري وهمذان في الوسط، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخا، وبقربها مدينة يقال لها آوه، فساوه سنّيّة شافعية، وآوه أهلها شيعة إمامية، وبينهما نحو فرسخين، ولا يزال يقع بينهما عصبية، وما زالتا معمورتين إلى سنة 617 فجاءها التتر الكفار الترك فخبّرت أنهم خربوها وقتلوا كل من فيها ولم يتركوا أحدا البتة، وكان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها بلغني أنهم أحرقوها". يُنظر: الحموي، معجم البلدان: 179/3.

(6) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 1/ 256.

(7) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 240/5. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية: 257/1.

(8) ابن العماد، شذرات الذهب: 94/6, 147,172.

(9) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 240/5.

(10) ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية: 256/1.

(11) الذهبي، سير أعلام النبلاء: 339/18.

(12) ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية:257/1.

(13) ابن العماد، شذرات الذهب: 292/5. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 240/5.

(14) ابن العماد، شذرات الذهب: 292/5. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 240/5.

(15) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 240.

(16) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 85.

(17) يُنظر: نفسه: 85.

(18) يُنظر: الراغب الأصـــفهاني، المفردات في غريب القرآن: 391. الكفوي، الكليات معجم في المصـــطلحات والفروق اللغوية: 495.

(19) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 417/5. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط: 915/2.

(20) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 116/1.

(21) نفسه، الصفحة نفسها.

(22) يُنظر: القطان، مباحث في علوم القرآن: 77.

(23) يُنظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 116.

(24) الواحدي، أسباب نزول القرآن: 8.

(25) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 339/13.

(26) يُنظر: الحلبي، علوم القرآن الكريم: 47.

(27) يُنظر: الشاطبي، الموافقات: 146/4. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 107/1, 108.

(28) الشاطبي، الموافقات: 4/ 152.

(29) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب: 95/1.

(30) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 110/1.

(31) الشاطبي، الموافقات: 146/4.

(32) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، حديث رقم: (1415). مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: الحمل أجرة يتصدق بها، حديث رقم: (1018). الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 474.

(33) نفسه: 309.

(34) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 9/ 228,229.

(35) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 291.

(36) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: الهدية للعروس، حديث رقم: (5163). مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، حديث رقم: (1428). الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 871.

(37) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: أبوال الإبل، حديث رقم: (233). مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: حكم المحاربين والمرتدين، حديث رقم: (1671).

(38) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 317.

(39) الطبري، جامع البيان: 13/441- 447. الواحدي، أسباب النزول: 234.

(40) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 434.

(41) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب التفسير عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب: ومن سورة البقرة، حديث رقم: (2958)، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان أبي الربيع، عن عاصم بن عبيد الله، وأشعث يضعف في الحديث). ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم، حديث رقم: (1020)، وذكره الواحدي، أسباب النزول: 37.

(42) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 126.

(43) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 966.

(44) الواحدي، أسباب النزول: 48، 49؛ قال محقق أسباب النزول للواحدي عصام بن عبد المحسن، ضعيف جدًا، لكن يغني عنه مما في معناه:

1- ما أخرجه: الطبري، جامع البيان: 2/35, عن قتادة مرسلًا، قال: هم أهل الكتاب: كتموا ما أنزل الله عليهم، وبيّن لهم من الحق والهدى من بعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره. وسنده صحيح.

2- ما أخرجه عبد بن حميد عن قتادة مرسلًا نحوه، وصححه الحافظ ابن حجر.

(45) الكتاني، الرسالة المستطرفة: 79.

(46) الطبري، جامع البيان:13/502-504. الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 438.

(47) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنفال، باب قوله: (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك)، حديث رقم: (4648). مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: في قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم)، حديث رقم: (2796).

(48) ينظر: النعماني، اللباب في علوم الكتاب: 4/ 445. الواحدي، أسباب النزول: 91. الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة:10/ 600، حيث قال: (وهذا -مع كونه معلقًا معضلًا-؛ فإن الكلبي متهم بالكذب. وقد روي سبب النزول مسندًا عن ابن عباس ولا يصح). الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 191.

(49) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: 7/228, 229.

(50) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 180. الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1231.

(51) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية: 7/246.

(52) نفسه: 12/81.

(53) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير:23/ 240.

(54) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: 6/ 153.

(55) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 5/ 288.

(56) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 218.

(57) نفسه: 205.

(58) نفسه: 102.

(59) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 1/7.

(60) يُنظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 12/ 477، وقد رد ابن تيمية دعوى أن الإيمان في اللغة التصديق بل هو الإقرار؛ لأنه جامع لإقرار القلب، وإقرار الجوارح، واللسان بخلاف التصديق المتضمن تصديق القلب دون غيره.

(61) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 3/167.

(62) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 135.

(63) الجرجاني، المنهاج في شعب الإيمان: 1/ 37.

(64) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 231.

(65) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 2/ 460.

(66) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 1/ 196, 197.

(67) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 123.

(68) نفسه: 126.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم.

1) الألباني، محمد ناصر الدين (ت. 1420ه)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412ه - 1992م.

2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (ت.256ه)، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422ه.

3) الترمذي، محمد بن عيسى (ت.279ه)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت. 728ه)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416ه -1995م.

5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت. 728ه)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1406ه - 1986م.

6) الجرجاني، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم (ت. 403ه)، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399ه - 1979م.

7) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت. 852ه)، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1997م.

8) الحلبي، نور الدين محمد عتر (ت. 2020م)، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ط1, 1414ه - 1993م.

9) الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

10) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت. 748ه)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3, 1405هـ - 1985م.

11) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت. 748ه)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد رشاد عبدالمطلب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.

12) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت. 606ه)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1420هـ.

13) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت. 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية بيروت، دمشق، ط1، 1412هـ.

14) السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت. 771ه)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط2، 1413هـ.

15) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت. 911ه)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1, 1394هـ- 1974م.

16) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت. 790ه)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ- 1997م.

17) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت. 1393ه)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.

18) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت. 764ه)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ- 2000م.

19) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت. 310ه)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000م.

20) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت. 1089ه)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ - 1986م.

21) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت. 395ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ - 1979م.

22) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي (ت. 851ه)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.

23) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت. 671ه)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

24) القطان، مناع بن خليل (ت. 1420ه)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1421ه- 2000م.

25) الكتاني، محمد بن أبي الفيض الإدريسي (ت. 1345ه)، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط6, 1421ه-2000م.

26) الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (ت. 786ه)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401ه- 1981م.

27) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت. 1094ه)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، - 1419ه - 1998م.

28) ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت275ه)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د. ت.

29) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت261ه)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1374ه.

30) مصطفى، إبراهيم – الزيات، أحمد - عبد القادر، حامد – النجار، محمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة، د. ط، د. ت.

31) النعماني، سراج الدين عمر بن علي بن عادل (ت. 775ه)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419ه - 1998م.

32) الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت. 468ه)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، دمشق، ط1، 1415ه.

33) الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت. 468ه)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، ط2، 1412ه - 1992م.